

الممارسات الصحية لدى الأسرة الجزائرية المعاصرة "الطب البديل كنموذج"

ملیكة نعیمی

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر.

malika.naimi@univ-mascara.dz

تاریخ الإرسال: 26 / 03 / 2023 ؛ تاریخ القبول: 27 / 04 / 2023

Health practices of the contemporary Algerian family "Alternative Medicine as a Model"

Abstract:

This study seeks to shed light on the rationale related to the disease and health and their link with the cultural structures and the system of habits of the Algerian family, despite the societal modernization that affected several fields of life. This transformed the traditional style of family, based on the religion and customs variable, to the modern style based on new values and norms with a reflex.

On the other hand, and despite the technological and technical development in the medical domains, pharmacy, culture and health, we put into question a number of therapeutic practices, of actions and of non-scientific, traditional preventive behaviors, which we call in the Algerian society, alternative medicine. The latter is characterized by a holy character given the fact that it is related to the cultural model and to the holy religion, which represent the collective memory of individuals, and which contributed to its legitimacy and its evidence, referring to this practice, to the experience and to the proved texts. Another reason that helped increase the continuity and development of alternative medicine is The creation of a new modern space such as

multimedia and media institutions, which represent a framework for the collective imagination and the value of the contemporary family to adopt it and be a public place which gather different actors and practitioners of this type of health practice.

Key words: health practices; disease; alternative medicine ;
contemporary family .

الملخص:

تأتي هذه الدراسة البحثية لتسليط الضوء على إشكالية المرض والصحة وارتباطهما بالبنى الثقافية والأنساق العاداتية للأسرة الجزائرية، فبالرغم من التحديث المجتمعي الذي مسّ مختلف الميادين الحياتية والذي حوّل الأسرة من النمط التقليدي المؤسس على متغير الدين والعادات، إلى النمط الحداثي القائم على شبكة القيم والمعايير الجديدة ذات المنعكس الغربي، هذا من جهة ومن جهة أخرى وبالرغم من التطور التكنولوجي والتقني في مجالي التطبيب والصيدلة والثقافة الصحية، إلا أننا لا نزال نستنطق مجموعة من الممارسات العلاجية والأفعال والسلوكيات الوقائية ذات الطابع التقليدي غير العلمي وهو ما يعرف في المجتمع الجزائري بالطب البديل، حيث يتميز بالقداسة نظرا لإرتباطه المباشر بالنسق الثقافي وبالمقدس الديني اللذان يمثلان الذاكرة الجماعية للأفراد، وهذا ما ساهم في شرعته وإثباته من خلال الرجوع لتلك الخبرة الممارساتية والنصوص الإثباتية، ومازاد من استمرارية وتطور الطب البديل هو إيجاد فضاء حداثي جديد كالوسائل المتعددة والمؤسسات الإعلامية والجماهيرية التي تأطر المخيال الجمعي والقيمي للأسرة

المعاصرة لتبني بذلك وتكون مجالا عاما يجمع مختلف الفاعلين والممارسين لهذا النوع من الممارسة الصحية.

الكلمات المفتاحية: الممارسة الصحية ؛ المرض ؛ الطب البديل ؛ الأسرة المعاصرة.

مقدمة:

تعالج العلوم الإنسانية والاجتماعية وبالأخص علم الاجتماع إشكالية التحولات السوسيوثقافية والنسقية للأسرة الجزائرية المعاصرة وتأثيرها على المخيال الرمزي والسلوكيات الفردية والجماعية، والمتمثلة أساسا من خلال هذا المقال في الأفعال والممارسات الصحية المرتبطة بالبنية القيمية للمجتمع، حيث تفكك السلوكيات العلاجية في المجتمعات التي تعيش وفق ثنائية التقليدي والحداثي وأيهما الأكثر تأثيرا على المنظومة الصحية، فدور السوسيولوجيا هنا يكمن في عملية تحليل ثنائية تقليدي/ حداثي وتوضيح مدى تأثيراتها على الحياة اليومية للأفراد والأسرة المعاصرة من خلال قراءة وفهم الجوانب الرمزية والفنية والممارساتية للعلاج والوقاية.

انطلاقا مما سبق كيف يمكننا فهم وتفسير استمرارية ممارسة الأسرة الجزائرية المعاصرة للطب البديل بالرغم من حداثة التطبيق؟ وفيما تتمثل أهم هذه الممارسات التطبيقية التقليدية ؟.

الفرضيات:

- ترجع إستمرارية الممارسات العلاجية والوقائية التقليدية عند الأسرة الجزائرية المعاصرة إلى المقدسات الثقافية والدينية اللتان تعبران عن الذاكرة الجماعية للأفراد داخل المجتمع الجزائري.

- مساهمة الرسالة الإعلامية المتخصصة من خلال الوسائط المتعددة و الفضائيات الجماهيرية في بناء وترسيخ ممارسات الطب البديل داخل الفضاء الاجتماعي.

- تتجه الأسرة الجزائرية المعاصرة إلى ممارسة الطب البديل كإجراء وقائي وممارسة علاجية أثبتت فاعليتها في معالجة العديد الأمراض خصوصا مع وباء جائحة كورونا.

منهجية الدراسة:

لا يغيب على أي باحث أو دارس في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية أن طبيعة البحث والإشكالية المراد دراستها لها علاقة ارتباطية بنوعية المنهج المتبع مع الأساليب والتقنيات التي يوظفها الباحث في حقل دراسته حيث اعتمدنا على تقنية المقابلة. أما بخصوص العينة فهي تختلف باختلاف الموضوع فصحة نتائج الدراسة أو عدم صحتها يتوقف على طريقة اختيار العينة، وعند اختيارها لابد من مراعاة الإمكانات المادية والزمنية التي تتطلبها البحث الميداني والجهد المبذول فيه.

وقد اعتمدنا على العينة القصدية في اختيار أفرادها من مجتمع البحث والمتمثل في الأسر الجزائرية من مدينة معسكر كنموذج للبحث،

وقد شملت عينة البحث على 15 مبحوث يتوزعون وفق الخصائص السوسيو مهنية، فحسب الجنس منهم 09 نساء و6 رجال وهذا لمعرفة الفروقات والتشابه بينهما، أما بالنسبة للسن فتراوح أعمارهم من 20 إلى 60 سنة فالقئة العمرية دور كبير في توجيه التمثلات أو الممارسات الصحية، أما عن متغير المستوى التعليمي فقد بلغ عدد المبحوثين الذين لديهم مستوى ابتدائي مفردة واحدة فقط، والمتوسط 2 مبحوثين أما الثانوي بأربعة مفردات وأخيرا الجامعي بثمانية مبحوثين وقد اعتمدنا على هذا المتغير ليعبر لنا عن قدر من النمو والنضج الفكري.

المفاهيم:

الممارسة الصحية : ان الممارسة هي عبارة عن فعل اجتماعي يقوم به الفاعل لتحقيق هدف ما فهي نسق معقد من السلوك يمكن تقسيمه الى أجزاء مختلفة يمكن تحليلها ودراستها في علاقاتها المتبادلة، وتحتوي كل نسق من السلوك على الفاعل والرموز والقيم الذي توجهه (مرسي محمد، 2001: 7)، هي تلك الأفعال والسلوكات الاجتماعية المنتظمة يقوم الفاعل الاجتماعي بممارستها سواء بشكل فردي وجماعي، والتي يكتسبها عبر الفعل التنشئوي لمختلف المؤسسات المجتمعية، ويرى تالكوت بارسونز أن الممارسات الصحية هي أنماط السلوك التي يسلكها المريض لتخفيف الآثار الضارة المركبة التي يخلفها المرض (مانع عمر، 2016: 309) وبالتالي فهي تعبير عن فعل وممارسة اجتماعية

وقائية أو علاجية موجهة لتحقيق غاية محددة تتمثل في شفاء الجسم من الأمراض أو الحد منها ومن انتشارها .

المرض: هو الحالة التي يكون فيها العقل أو النفس أو الجسم أو بعض أجهزته أو أعضائه في حالة اضطراب أو خلل في وظائفها (ميلاط نضيرة، 2016: 372) أي أنه خلل في عضو من جسم الانسان يؤدي بصورة مباشرة الى خلل في الحياة والأدوار الاجتماعية للفرد والتي تستدعي على المريض ممارسة شبكة من السلوكات والأفعال العلاجية والوقائية.

الطب البديل: هي جملة من الممارسات الصحية خارج عن إطار الطب الرسمي والعلوم الطبية والصيدلانية وعادة ما يرتبط هذا النوع بالأعشاب والنباتات في شكلها الخام مصدرها الموروث المقدس (الطب النبوي) وتعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه المعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات التي تستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاج أو تحسين أحوال المصابين بها (اسماعيل سمير، 2003: 17)

الأسرة المعاصرة: تعتبر الأسرة أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي هي مؤسسة ثقافية تقدم الموجهات والضوابط الرمزية والتعبيرات الخاصة بثقافة المجتمع لتضع فعل الفاعل الاجتماعي في إطار ثقافي أي تعجبه عجلة ثقافية تعطيه المذاق المعنوي والتصور والرمزي (معن

خليل عمر، 1997: 81) فالأسرة المعاصرة هي تلك التي تأثرت بسياق التحديث المهيمن على النسق الثقافي ورموزه.

الممارسة الصحية التقليدية بين الديني والاجتماعي:

يبقى الفرد الذي يعيش في المجتمعات التقليدية المبنية على جملة الأفكار الدينية والأساطير الميثولوجية تنعكس ممارساته ضمن إطار ونسق لا يخرج عن هذه المنظومة مهما حاولت الدخول وفق الحداثة وما تنتجه من التغيير القيمي والثقافي القائم على شبكة مبادئ وقيم مغايرة تماما مع البنية التقليدية لمجتمعنا، فالممارسة الطبية لعلاج المرض ما هي إلا صورة عن نمطية وبنية المجتمع الذي نعيش فيه. يقوم المخيال بعدة أدوار أهمها التعبير عن الجوانب غير السوية والمرضية فالممارسة الطبية الشعبية هي من العوامل لإحداث التوازن الاجتماعي وإعادة ترتيب العلاقة بين الفرد والمجتمع فتلك الممارسة حولت الفرد من صورته الفردية إلى صورته الاجتماعية الشاملة.

فالمخيال الاجتماعي إنطلاقا من هذا التصور بجميع مكوناته الدينية والأسطورية يلعب في التصور الشعبي دور الحامي والمعالج للأخطار التي يمكن أن يصادفها الإنسان في حياته ﴿ (Bouhdida, 1987: 51) إذن يبقى العقل الذي نشأ في بيئة أسطورية شعبية لا تؤمن بالطرح العقلاني والحداثي مهما كانت فعاليته فهذا العقل الميثولوجي ينساق نحو بيئة شعبية وله علاقة حميمة مع الوسط التقليدي، فالمعتقدات الكلاسيكية توظف هوية الفرد من خلال المنظومة المعيارية والممارساتية لأفراد مجتمعه

وفي نفس الوقت لا يمكن تجاوز هذه البنية الشعائرية والطقوسية مهما بلغت درجة التقدم لأنها تمثل الذاكرة الجماعية لأفرادها ﴿ سنكون مخطئين إذا اعتقدنا أن الغرب قد تحرر من تلك الخلفيات الدينية التي كانت توجه فلاسفة التاريخ والمستشرقين وأنه غرب علماني خالص، فلا يمكن تجريده من ذاكرته ﴾ (الجابري محمد عابد، 1995: 136).

فلو رجعنا لحمل ممارسات الطب التقليدي نجدها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالطب النبوي فهي مجموع ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من أساليب وقائية للعلاج حيث يقول عليه السلام: ﴿ لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى ﴾ وقوله أيضا: ﴿ عليكم بأربع فإن فيهن شفاء من كل داء إلا السام والسنا والسنون والثفاء والحبة السوداء ﴾، فارتباط الطب التقليدي بالمخيل المقدس قد ساهم في ترسيخه لدى الأفراد وهذا ما يحول بنا إلى القول أن الطب التقليدي هو الواجهة التي تمثل الهوية الدينية والعودة للمكبوت. فمجال الصحة والمرض يمثلان نمطا فكريا لأفراد المجتمع وخصوصا المجتمعات التي تعاني هشاشة في بنيتها وانقسامًا بين الجهة التركيبية الحداثية والجهة الميثولوجية الكلاسيكية، كما نجد الباحث بن سماعيل بلقاسم في كتابه *Le sens de la maladie dans la culture maghrébine arabo islamique* إلى وجود شبكة من المعاني حول مسألة الصحة والمرض في الثقافة المغاربية وهذا يعني ﴿ نقد التصورات والمفاهيم التي يعتقدونها الناس حول المرض والصحة، الأمر الذي ينتج عنه

تصادم نظامين فكريين وهما نظام تفكير المريض وبيئته الذي يتبنى نموذجاً ثقافياً محلياً حول مسألة الوقاية والعلاج من المرض وقد يكون في غالب الأحيان النظام الطبي الشعبي وأحياناً أخرى يتبنى النسق الطبي العلمي الحديث، فالذات أعطت رموزاً ساهمت في بلورة هذا النمط الممارساتي وكانت نتيجة لمجموعة من السلوكيات التي تلقاها الفرد نتيجة التنشئة الاجتماعية ومما ساهمت في تطبيع هذا النمط من الممارسات الشعبية حيث يرى تالكوت بارسونز أن جل التصرفات السلوكية والفعل الاجتماعي للفرد تخضع لمؤثرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه لأنها تفعل فعلها فيه لتجعله خاضعاً لها (معن خليل عمر، 1997: 83) فالعادات الصحية تكون منوطة بتأثير من المجال الاجتماعي والمرسوم الثقافي الذي يشكل ما يسمى بالمخيال الرمزي، فالمخيال الرمزي سواء تعلق بالذات الفردية أو الأنا الاجتماعية يفهم من ذلك على أن الفرد يقوم ببلورة رموز خاصة تتعلق بتفكيره ورغباته وحاجاته وخبراته (معن خليل عمر، 1991: 175). إذن العادات الصحية تتشكل لدى الفرد نتيجة التنشئة ومن خلال مصادفته لمرض معين فتلك المواجهة تؤدي به إلى إبراز السلوكيات والعادات التي ترسخت في المخيال وتكون التغذية الراجعة هي بمثابة التطبيع الوقائي بإتجاه المرض.

الطب البديل في الفضاء الإعلامي:

نظراً لإنعدام فعالية الطب الحديث والكيميائي في معالجة العديد من الأمراض والأوبئة التي تصيب جسم الإنسان برز وبقوة إتجاه جديد

قائم في الأساس على النزعة والثقافة التقليدية في عملية الوقاية هذه والذي يدعو إلى إعادة إنتاج مختلف العمليات العلاجية الكلاسيكية والتي يسمونها «الطب البديل» أو «الطب الشعبي»، حيث نشهد في الآونة الأخيرة العودة إلى الممارسات العلاجية التقليدية وعند مختلف الفئات والأوساط الاجتماعية، حيث نجد العديد من الدراسات السوسولوجية أكدت ذلك مثل دراسة الباحث كيروور نصرالدين من خلال مقاله الموسوم بالسوسولوجيا التدخلية والثقافة الصحية في المجتمع الجزائري أنه لا تزال التفسيرات غير العلمية حاضرة بقوة في الثقافة الصحية وهي لا تزال جزء لا يتجزأ منها، فالكثير من الناس لا يزالون يتوجهون للسحرة والمشعوذين للبحث عن العلاج أو يتوجهون إلى محلات بيع الأعشاب والمعالجين التقليديين (كيروور نصر الدين، 2021: 304).

هذا التوجه نادى بضرورة العودة والرجوع إلى المنظومة التطبيقية والعلاجية القديمة مستفيدا بهذا من مختلف الطرق الإتصالية الجماهيرية الحديثة لإيصال رسالته حيث يرى تالكوت بارسونز في هذا الصدد أن المرض يمثل تهديدا لاستقرار النظام الاجتماعي بوصفه يزود الأفراد بأسباب التوقف عن العمل ومن ثم فهو يحتاج إلى قواعد تنظيمية تضبطه، لتظهر بهذا العديد من مؤسسات الاعلام ومختلف وسائل الاتصال الجماهيري جاءت لتؤطر العمليات الممارساتية للطب البديل مشكلة بذلك آليات مقاومة ومحاولة منها للحد من الأمراض والوقاية

منها، وهذا عبر الشقيف الصحي فهو *الدعاية الصحية التي تعني بتحسين السلوك الصحي من خلال مساعدة الناس على فهم سلوكياتهم وتشجيعهم على اختيار ما يفضلونه من حياة سليمة دون اجبارهم على التغيير* (كيرور نصر الدين، 2021: 306) فتلقن بذلك السلوكات وتبني الأفعال الاجتماعية الصحية عبر توعية الفاعل بشبكة من المعايير والقيم والضوابط الثقافية عبر مختلف المؤسسات الاجتماعية ف*سلوك الفرد الاجتماعي الذي يقوم بها الفاعلون لا تصدر من فراغ ولا من عقله أو رغبته الذاتية بل ببصمه ببصمات المؤسسات الاجتماعية كالأسرة ووسائل الاعلام والمدرسة وبيوت العباد* (معن خليل عمر، 1997: 80):

فقد برزت ممارسات الطب البديل في المجتمع الجزائري عبر المؤسسة الاعلامية في مجموعة من الفضائيات التلفزيونية حيث نجد في دراسة للدكتور عبدالله البداح المعنونة ب*الطب البديل والتكميلي في القنوات الفضائية العربية* أكد على وجود 119 قناة مختلفة 80% منها مبنوثة عبر قمر نايل سات، وما يقارب 20% على العرب سات، و0.3% على القمر الأوروبي تبث موضوعات الطب البديل والتكميلي وتنوعت طبيعة القنوات فمن قنوات عامة تمثل 49% إلى قنوات خاصة بالطب البديل وتشكل 20% وتشابهها في النسبة القنوات الدينية أيضاً، ثم القنوات المتخصصة في موضوعات أخرى مثل الأخبار والمرأة.. بنسبة 11% فقط.

لقد أخذ الطب البديل مكانة في وسائل الإتصال الجماهيرية حيث نلاحظ وجود عدة فضائيات عربية مثل قنوات المحور، الصحة والجمال والحقيقة... وغيرها أما الإعلام الجزائري فإننا نلاحظ باقة متعددة من الفضائيات والبرامج المتخصصة أبرزها قناة دزاير 24 وقناة Index الجزائرية وقناة Dzair shop. وكذا العديد من الصفحات والفيديوهات في منتصات التواصل الاجتماعي كصفحة بيت الحكمة .

وقد تنوعت طرق إيصال رسالة الطب البديل في هذه الفضائيات كالبرامج الإعلانية والبرامج التفاعلية التي يكون فيها المستقبل في علاقة مباشرة مع خبير الطب البديل فمثلا نجد في قناة L index الجزائرية برنامج كنوز الطب الشعبي* للدكتور برجى، أو حتى البرامج المسجلة تبث على الهواء لكنها غير تفاعلية، و نلاحظ كذلك شريط إعلاني خاص بالأدوية ومراكز الطب البديل مع أرقام هواتفهم ومراكز تواجدهم ووكالاتهم مثل ابن الشنفرى والبغدادي على قناة الباهية.

ان المؤسسة الإعلامية تعتبر بمثابة الخط الإيديولوجي للمجتمع حيث تقوم بمسيرة البنية الفكرية للدولة وهدفها يرتبط بالسياسة الاقتصادية التي من شأنها ترويج خطاب تنافسي يجلب جمهور ومستشهرين أو ما يسميه بورديو بالعقلية الأودمية أي جذب أكبر عدد ممكن من المشاهدين كإستجابة لقواعد السوق والأسهم.

انطلقنا من خلال فرضيات دراستنا مدى ارتباطية القنوات الإعلامية بانتشار الطب البديل وإعادة انتاجه داخل الفضاء الاجتماعي وبالفعل

فالأفراد والأسرة الجزائرية المعاصرة لا تزال تقوم بالفعل الممارساتي لهذا النوع من العلاج التقليدي حيث يشاهدون القنوات الإعلامية التي تقوم بعرض مميزات وخصوصيات الطب التقليدي كما يشاهدون القنوات الفضائية التي تبث برامج وحصص تفاعلية مباشرة أو مسجلة للطب الكلاسيكي الشعبي وللإعلانات المعروضة فيها عبر الشريط السفلي في القناة، وقد جاءت قناة دزاير 24 كأول قناة مذيعة ومختصة لكل ما تعرضه وكالة بيت الحكمة التي لها العديد من الوكلاء في مختلف ولايات الوطن كما استطاعت هذه القناة من خلق آلية للاتصال الجماهيري عن طريق تقديم مجموعة الخدمات وإمكانية التواصل مع الخبراء، كذلك قناة index الجزائرية فجاءت قناة متنوعة فالعديد من الدراسات أكدت أن المشاهد العربي يلجأ للتلفاز بالدرجة الأولى من أجل الترفيه ذلك بغية الهروب من الواقع المعاش، ولأجل ذلك تعمل القنوات الفضائية على إنتاج بعض البرامج الاجتماعية والثقافية خاصة الموسيقى، وهذا ما اتخذته هذه القناة كمنهجها لها، أما القناة دزاير shop فهي قناة إخبارية لمختلف العروض الاقتصادية والتجارية في الجزائر.

توجهات وممارسات الأسرة الجزائرية المعاصرة للطب البديل:

إن عملية تنمية المعرفة الاجتماعية لأي نسق مجتمعي تتشكل من خلال عدة مجالات متنوعة حيث تظهر الصحة والمرض الذي يمثلان النسق القيمي والعاداتي المفسر لدى ارتباطية المريض بهذا النسق، فالمريض كحالة نفسية متشبهة بميكانيزمة الدفاع عن حالة الجسم

هذا الذي يساعدها في اللجوء للطب البديل المتمثل في جملة التداوي بالأعشاب. فهذه الممارسة لها دلالات تاريخية تثبت وجوديتها وتطورها الزمني عبر العصور حيث وجدت المخطوطات المكتوبة على أوراق البردي في قبور الفراعنة مدونا عليها وصفات عديدة تخص أسرار الأعشاب الطبية، كما نجد لدى قدماء الهنود واليونان استعمالهم للأعشاب بالتداوي بينما كان في أوروبا الاعتقاد بالأرواح الشريرة والخرافات وآلهة الأمراض وآلهة الشفاء (الهرماسي عبد اللطيف، 2005: 159).

ممارسة الفاعلين للطب البديل:

تهتم السوسيولوجيا بالبحث في مسألة المرض والصحة وعلاقتها بالبنية الثقافية والاجتماعية للفرد والأسرة في المجتمع أي بتأثيرات النماذج الثقافية والأنساق الاجتماعية حيث أن الكائن البشري من كونه كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ثقافي فالطب الرسمي يتعامل مع الجسد بيولوجيا وفي الطب الشعبي يتم التعامل معه في دائرته السوسيوقافية وبالتالي هو مرآة عاكسة للمنظومة الاجتماعية.

انطلاقا من مقابلتنا مع عينة الدراسة تمكنا من استنتاج جملة من الوقائع حيث ثبت في الميدان أن الفرد الجزائري لا يزال يعيش من الحديث/التقليدي حيث أن نسبة كبيرة من أفراد العينة يمارسون العلاج التقليدي سواء بالتوازي مع مجموع الأدوية أو لوحده دون اللجوء الى الطبيب أو الوصفات الطبية وبالتالي انتشار ظاهرة الطب البديل في

المجتمع وهذا عبر استخدامهم لعقاقير أو أعشاب أو مواد طبيعية سواء بشكل فردي أو خلطات حيث يوجد نمطين من الطب في الجزائر: طب رسمي دو طابع جامعي، وطب تقليدي مستوحى من التجربة الحسية للمجتمع (كيرور نصر الدين، 2021: 311) ومن هنا يمكن أن نطرح تساؤلا حول التصورات التقليدية للصحة والمرض هل تعود للنسق الديني ويكون بذلك مرتبط بالفضاء الأسري الاجتماعي أم بالتفكير الميثولوجي أي البحث في الميتافيزيقيات أم راجع للتجربة وتناقلها عبر الأجيال. ومحاولة منا الإجابة حول هذا التساؤل تبين لنا من خلال تصريحات الباحثين أن النمط الأسري الممتد يمارس العلاج البديل بشكل مشابه تماما للنمط الأسري النووي وهنا نلاحظ أنه وبالرغم من التحول في بنية وشكل الأسرة الجزائرية وبالتالي التغير القيمي إلا أن الممارسات التقليدية لسلوكات الأفراد تناقلت عبر الأجيال فاستمرارية النسق الثقافي بقيت في شكلها الوظيفي وهذا راجع للمخيل الذي تشكل عبر عملية التنشئة الاجتماعية التي تتشكل في إطار العادات والتقاليد.

يمكننا القول أن هناك علاقة وثيقة بين الأطر الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع وبين المنظومة الطبية العلاجية للأفراد حيث يلعب الوسط الاجتماعي الأسري دور فعال في بناء تمثلات الفرد نحو الجانب الصحي وذلك نظرا لما نجده من سلطة معتبرة للعادات وتأثيرها في الحياة اليومية وبالتالي تنعكس طريقة تشخيص المرض وعلاجه وهذا ما أكدت

عليه إحدى الدراسات من بينها دراسة Maclean في إطارها الميداني حيث بحث حول العلاقة بين المعتقدات والنظر للصحة في ضوء عدة متغيرات متمثلة في الطبقة الاجتماعية، الفروق البيئية والفروق العمرية وكانت نتائج الدراسة أن الوسط الاجتماعي والمعتقد له أثر على تقييم أعراض المرض وبالتالي اللجوء إلى الخدمة الصحية الشعبية (44: R Lion, 1986).

ولعل ما زاد من استمرارية انتشار الطب الشعبي في المجتمع هو اعتماد الطب الحديث عليه وهذا ما أثبتته إحدى الدراسات حيث أكدت على أن نسبة 86,7 % من أفراد العينة وهم من الأطباء يؤكدون ذلك (صالح عبد الرزاق، 2007: 22).

الطب البديل كممارسة وقائية/علاجية:

يعبر العلاج عن مجموعة من الأفعال والممارسات الصحية حديثة كانت أو تقليدية يقوم بها الفاعل الاجتماعي للشفاء من مرض معين، أما الوقاية فهي شبكة من الأفعال والسلوكات الصحية التي تجنب الجسم من الإصابة بمرض ما والتي ترتبط مباشرة بالمستوى الثقافي للفرد والأسرة، ذلك أن الثقافة الصحية هي شبكة من الرموز والمعارف العلمية أو العامة لأعراض المرض وللعوامل التي تشكله وتحدد منه أو من انتشاره، كذلك مختلف الضوابط والاحتياطات والقيم الاستهلاكية للأكل الصحي وممارسة النشاط البدني، فالأسرة المثقفة صحيا تنمط أفرادها على نسق ممارساتي متوازن، وفي واقع الأسرة الجزائرية اليوم نجد

عدم اعطاء أهمية كبيرة للمجال الصحي حيث يذكر أحد المبحوثين المريض من عند ربي وشفا من عند ربي وكذلك ربي هو الشافي وهنا نرى سيطرة التفسيرات الدينية للمرض وأنه مجرد ابتلاء إلهي يستدعي الدعاء والتصدق، وبعد ذلك مباشرة العلاج كيميائي كان أو تقليدي فالفرق الجزائري لا يعط أهمية للثقافة الصحية إذا كان سليما معافى، أما عندما يصيبه أي مرض فإننا نجد بحث عن أسباب هذا المرض ودرجة خطورته... الأفراد الذي مروا بتجربة مع هذا المرض أو ذك ويطرق كل أبواب المعالين (كيرور نصر الدين، 2021: 304) فالفعل الوقائي والعلاجي تبنيه المؤسسات التنشئية بما فيها الدين والنسق الثقافي والرمزي، وبالتالي تقييد الأفعال الاجتماعية الصحية وفق النسق العاداتي والذي لا يكون بطريقة اعتباطية وإنما لتحقيق غايات وأهداف محددة للشفاء والتخلص من المرض حيث عبرت إحدى المبحوثات بأن الدواء يؤثر بدرجة كبيرة على بعض أجزاء الجسم لهذا تتوجه إلى استخدام الأعشاب ومداومتها على الطب التقليدي أثناء فترة مرضها بفيروس كورونا كالكاليتوس والقرنفل والزنجبيل والشيخ... وغيرها، كما أن هذا الاستخدام يكون وفق طرق متعددة كالشرب مثلا أو الاستنشاق أو التبخر فالفعل الاجتماعي المنمط لا يأخذ شكلا متصارعا مع ضوابط المؤسسات بل الاكتساب الإيجابي فضلا عن تمتين وتطوير فعل الفاعل وأخذ مصداقية اجتماعية وقبولا اجتماعيا من قبل

الأفراد لأنه مثنى اجتماعيا ومجرب سلوكيا وناجح اعتباريا*) (معن خليل عمر، 1997: 82).

الممارسة التطبيقية التقليدية كبديل للطب الحديث:

بمجرد ملاحظة الواقع المعاش اليوم نلاحظ مجموعة من الأمراض لم تثبت فيها فعالية الطب الرسمي الحديث وبالتالي فهي مؤشر له دلالة قوية لوجودية الطب الشعبي التقليدي في المجتمع وهذا من خلال تصريحات المبحوثين حيث أكدت إحداهن شفائها من فيروس كورونا بالاعتماد على الخلطات الطبيعية كالليمون والعسل وكذا الأعشاب فقط كالتبخر بالكاليتوس والشيخ وفي نفس الاطار تأكد لنا من خلال المقابلات أن الممارسات التطبيقية التقليدية الموجهة للقضاء على المرض لا تكون كأفعال فردية فقط بل تستدعي التواصل مع خبراء الطب البديل أو *المعالجين التقليديين الذين يتوارثون مهنة الطب التقليدي أبا عن جد داخل الأسرة الواحدة حيث يمر السر أو الكرامة ضمن أفراد السلالة*) (كيروور نصر الدين، 2021 : 312) وغالبا ما نجد هذا المعالج يتخصص في مرض دون غيره، وقد أكد مبحوث بعد تعرضه للكسر ثم اللجوء للطب الحديث وذلك بوضع "الجبس" لكن لم يشفى إلا بعد وضع الجبيرة على يد إحدى كبار السن عن طريق أعشاب كالحنة وخلطها مع بيضة وغيرها في حين ذهبت إحدى المبحوثات إلى التأكيد لفعالية الطب البديل بتصريحها التام عن حالتها الصحية لمرض عرق النسا حيث عرضت حالتها على مجموعة من

الأطباء بدون فائدة إلا بعد عرضها على المطبين التقليديين، فالطب الشعبي له العديد من الإيجابيات وهي خلق علاقة تفاعلية إيجابية بين الخبير والمريض متمثلة في الثقة انطلاقا من سلوكيات هذا الخبير كاللغة وغياب الرسميات وممارسته لبعض الطقوس الدينية كالبسملة التي يعمل على تأكيد المرجعية الدينية ولجوء الفرد وممارسته للطب الشعبي انطلاقا من دور الدين في بناء وتأطير نسيج تفاعلي داخل المجتمع، كذلك التبرك بالأولياء الصالحين ووضع التراب. وبالتالي لعب دور المعالج التقليدي بإعتباره معالج فزيولوجي نفسي.

فالدراسة الميدانية أثبتت أن العلاقة الموجودة بين الأنساق القيمية والثقافية لأفراد المجتمع تعمل على تنميط الثقافة الصحية والعلاجية وبالتالي تعتبر المرجعية الطبية، كما تؤكد هذا الدراسة مثلها مثل الدراسات التي تناولت مسألة القيم في المجتمعات التي تعرضت للإستعمار الثقافي وبرهنت مدى تشبث هذه المجتمعات بمجمل عاداتها وقيمها رغم محاولات التحديث والطمس الثقافي ومثل هذه الدراسات دراسة Jacques Berque فالبحت في مسألة العلاقة بين القيم وتأثيرها على السلوكيات في ظل التحول والتغير الاجتماعي تبقى المنظومة القيمية توطر القاعدة السلوكية في المجتمع ويبقى الدين هو محرك المخيال والأفعال الاجتماعية .

الخاتمة :

خلصت الدراسة الميدانية التي تم إجراؤها في إطار البحث عن الممارسات الصحية عند الأسرة الجزائرية المعاصرة إلى تأثير النسق الديني والقيمي لتوجهات وممارسات الأفراد على العديد من الأمراض، مع البحث في تأثير إنتشار الرسالة الإعلامية للترويج لهذا النوع من الطب وكيف أثرت على خياله الرمزي. وجدنا أن الفعل الممارساتي للفرد بإتجاه الطب التقليدي يتحكم فيه جملة من المتغيرات إلا أنه يبقى متغير النسق الديني القيمي هو أهم بعد يتحكم في الظاهرة، فيبقى النسق الثقافي يوطر الثقافة الصحية العلاجية للفرد من خلال جملة الخبرات التي يمررها أفراد المجتمع وذلك بغية ترسيخ قناعات فاعلية الطب التقليدي أما بخصوص المؤسسة الإعلامية وكيف لعبت دورا في تشكيل المجال العمومي المتمثل في الأفراد الممارسين لهذا النوع من الطب وهو فضاء لإثبات هويتهم وايديولوجيتهم الفكرية التقليدية حيث برزت القنوات الفضائية التي تروج لهذا الطب كمحرك إعلامي داخل المجتمع خاصة مع تأكديها وعرضها للمستفيدين من المواد العلاجية التقليدية وبالتالي خبراتهم تشرعن ذلك فالإعلام استطاع أن يحول أفراد من مستقبلين إلى مستهلكين وهذا ما ساهم بتمسك بالممارسات الكلاسيكية في العلاج رغم وجود معايير حديثة للطب وهذا ما يدفعنا للقول أن الممارسة الشعبية ما زالت تتمتع بإستمراريتها لدى الأسرة الجزائرية المعاصرة إلى جانب الطب الرسمي.

قائمة المراجع:

- اسماعيل سمير الحلو، (2003). المرشد الطبي للأسرة، ط3. دمشق: دار الكلام الطبي.
- الجابري محمد عابد، (1995). مسألة الهوية العروبة والإسلام. بيروت: مركز الوحدة العربية.
- الهرماسي عبد اللطيف، (2005). «مفهوم المقدس بين دعاوى الكونية وخصوصية الانسان الدينية». مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان، مجموعة: 26 العدد : 132، ص. ص 142-147.
- صالح عبد الرزاق محمود، (2007). «الطب الشعبي في منظور أطباء الطب الحديث». مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، العدد: 18، ص. ص 123-148.
- كيروز نصر الدين (2021) «السوسيولوجيا التدخلية والثقافة الصحية في المجتمع الجزائري». مجلة المفكر، جامعة الجزائر2، المجلد 5: العدد: 1، ص. ص 297-316.
- مانع عمار، (2016). «المدخل الاجتماعية للدراسة الصحة العامة والسلوك الصحي». مجلة دفاتر للبحوث العلمية، المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، العدد: 9، ص. ص 300-314.
- مرسي محمد عبد المعبود، (2001). علم الاجتماع عند تالوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي: دراسة تحليلية نقدية. مكتبة العليقي الحديثة.
- معن خليل عمر، (1991). نقد الفكر الاجتماعي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية، ط 2 . بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- معن خليل عمر، (1997). نظريات معاصرة في علم الاجتماع. عمان: دار الشروق.
- ميلاط نصيرة، (2016). «الأبعاد الاجتماعية للمرض تحليل سوسيولوجي». مجلة مقاربات، جامعة الجلفة، المجلد: 4 العدد: 3، ص. ص 371-379.
- Bouhdida Abdelwahab. (1987). culture et société. Tunis: publication de l université.
- R.Lion.tr: Andree Lyonard. (1986). Le fondement culturel de la personnalité .Paris :